لمحة عن كتاب الاويس موزيل
عن الرولة وعن حداء الخيل

يمر مجتمع الجزيرة العربية بمرحلة تغير جذري بدأت على إثره تتغير ملامح الحياة التقليدية بجميع مظاهرها المادية والروحية والمعنوية. وحتى عهد قريب كانت الرواية الشفهية والسماع والتقليد والمحاكاة هي القنوات الرئيسية لاكتساب العناصر الثقافية وتناقلها عبر الأجيال، بما في ذلك الفنون والآداب والتاريخ والأنساب. وفي الماضي كان المجتمع بسيطاً متجانساً ومعزولاً على نفسه إلى حد ما، ولم تكن قد ظهرت بعد وسائل الأعلام والتعليم الحديثة، بل كان الناس يصرفون جل وقتهم في تسقط الأخبار ورواية الأشعار كوسيلة من وسائل اكتساب المعرفة وشحذ الذهن وتزجية الوقت.

أما الآن فقد تعقدت الأمور وتعددت الأسباب وتغيرت الأوضاع وانصرف الناس إلى أشياء أخرى وكادت تنقطع صلتهم بالماضي تماماً ولم يبق منه في أذهانهم إلا صور باهتة وذكريات مبتسرة. ولشحة المصادر المكتوبة وندرة الوثائق الخطية أصبح من الصعب جداً إيجاد تصور واضح وإدراك صحيح لتاريخ الأجيال السابقة وطبيعة حياتهم.

ونتيجة لما نتمتع به اليوم من استقرار سياسي ورخاء اقتصادي وما صاحب ذلك من تغير جذري في بنية المجتمع وأساليب الحياة فإن ماضينا القريب في الزمن أصبح بعيداً في الذهن حيث بدأنا ننساه، بل نتنكر له. فكلما مثلت أمامنا صورة من الماضي على شكل قصيدة أو حكاية تغاضينا وتصاممنا وأشحنا بوجوهنا حتى لا نجابه ذلك الواقع القاسي الذي كنا نعيشه بالأمس. وبالطبع لا أعتقد أنه يوجد بيننا من يود النكوص إلى الحياة التي كان يعيشها أسلافنا والتي ملؤها الفرقة والشحناء والفزع والنصب والجهل والمسغبة. بيد أنه لا يليق بنا أن نقلب ظهر المجن لماضينا الذي إليه تمتد جذورنا ومنه نستمد هويتنا. فجميع الأمم منذ بدأ الخليقة تعنى بدراسة تاريخها قديمه وحديثه، إذ أنه لا يمكن فهم الحاضر بمعزل عن الماضي. ولكن مع الأسف أننا نحن حتى الآن نبدوا غير معنيين بدراسة تاريخنا دراسة دقيقة واعية. وفي نفس الوقت الذي تتسابق فيه المؤسسات العامة والجامعات في بلاد الغرب إلى إرسال البعثات العلمية لإجراء البحوث ودراسة عاداتنا وتقاليدنا وأساليب حياتنا وحضارتنا من جميع جوانبها بما في ذلك لهجاتنا العامية وآدابنا الشعبية نجد أن علمائنا لا يجدون في ذلك ما يستحق البحث العلمي الجاد بل إنه في نظرهم مما يجب محاربته ومقاطعته تماماً. وإنه لمن دواعي الأسى، بل من دواعي الخجل، أن الرحالة الأجانب والمستشرقين أشد

حرصاً منا على دراسة عاداتنا وتقاليدنا وآدابنا الشعبية وغير ذلك من النواحي الثقافية والظواهر الاجتماعية التي يعزف عنها الكثير من الكتَّاب والمفكرين لدينا مدعين أنها من مظاهر التخلف التي يجب نبذها وطمسها ومحوها من الأذهان في أسرع وقت. لذلك فإنه لو أراد أحد منا مثلاً أن يسترجع الماضي ويرسم له في ذهنه صورة واضحة متكاملة فإن المصادر المحلية لن تسعفه بشيء ولابد له من مراجعة كتب الرحالة الغربيين الذين جابوا أرجاء الجزيرة في القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين وسجلوا مشاهداتهم وانطباعاتهم في أعمال خالدة تستجد قيمتها على مر الزمن. ومن تلك الأعمال التي اكتسبت شهرة كبيرة في الأوساط العلمية في بلاد الغرب وفي جميع أنحاء العالم الكتاب الذي ألفه **الاويس موزيل** عن قبيلة الرولة وعنوانه The Manners and Customs of the Rwala Bedouins وقبل ان نتكلم عن هذا الكتاب نود أن نستعرض بإيجاز ما كتبه الرحالة الأجانب عن قبيلة عنزة عموماً وقبيلة الرولة خصوصاً ثم نورد نبذة قصيرة عن موزيل مؤلف كتاب الرولة.

عنزة قبيلة منيعة من أعز القبائل العربية وأكثرها انتشاراً تمتد ديارها من قلب نجد إلى شمال الشام والعراق. ولقد حظيت عنزة من دون القبائل الأخرى بالنصيب الأوفر من الدراسة حيث

نشرت عن تاريخها وأنسابها العديد من المقالات والبحوث في مختلف المجلات في الشرق والغرب. كما أن جميع الرحالة الذين وطئت أقدامهم نجد وصحراء الشام ذكروا هذه القبيلة وما تتمتع به من سلطة ونفوذ. وممن تكلم عنها باسهاب **جون لويس برخارت** في كتابه Notes on the Bedouins and Wahabys (1831) وقد زار برخارت عنزه سنة ١٨٠٩م وتنقل معهم وقال أن عنزه من أعظم القبائل عدداً وأشدهم بأسا. وممن عاشوا مع عنزه لفترة طويلة الرحالة المشهور **تشارلز دوتي** Charles Doughty الذي عاش لمدة سنة تقريباً مع الفقرى والمواهيب من عنزه وصاحبهم في حلهم وترحالهم في قلب الصحراء ووصف حياتهم وصفاً دقيقاً في كتابه Travels in Arabia Deserta (1921) وذكر أنه خلال إقامته معهم كان بجوار الشيخ زيد الشبيكان الفقيري والشيخ مطلق الحميدي من الفقرى.

ومنذ بداية القرن العشرين استحوذت قبيلة الرولة من دون قبائل عنزه على اهتمام الرحالة الأجانب فكتبوا عنها كتب مطولة ومفصلة منها بالإضافة إلى كتاب موزيل كتاب ألفه **كارل رسوان** Carl Raswan وعنوانه The Black Tents of Arabia (1935) وهذا الكتاب مزود بالصور المعبرة منها صورة للشيخ النوري الشعلان وحفيده فواز بن نواف وصور أخرى توضح حياة الرولة في حلهم وترحالهم وفي حالات السلم والحرب.

وظهر مؤخراً كتاب بعنوان The Rwala Today (1981) لمؤلفه **ويليام لانكاستر** William Lancaster وهو دراسة انثروبولوجية لقبيلة الرولة وما طرأ عليها من تغيرات في الوقت الحاضر.

الأويس موزيل من براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا. شغل منصب أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة تشارلز في براغ. ترجمت أعماله إلى الانجليزية وهي:

١ ــ شمال الحجاز The Northern Hig̃az (1926)

٢ ــ الصحراء العربية Arabia Deserta (1927)

٣ ــ شمال نجد Northern Neg̃d (1928)

٤ ــ عادات بدو الرولة وتقاليدهم The Manners and Customs of the Rwala Bedouins (1928).

٥ ــ في الصحراء العربية In the Arabian Desert (1930).

وهذه الكتب حصيلة جهد شاق وعمل دائب ورحلات متواصلة إلى شمال الجزيرة امتدت من سنة ١٨٩٦ إلى سنة ١٩١٥م.

لا نغالي إذا قلنا أن كتاب الرولة الذي ألفه موزيل أصبح من الأعمال التي لا تضاهى في قيمتها الاثنوغرافية حيث أنه وصف واف ودقيق لجميع مظاهر حياة البادية التي زالت تماماً من الوجود وإلى غير رجعة. ولقد اختار موزيل لدراسته قبيلة

تمثل حياة البادية خير تمثيل في عزتها ومنعتها فمن الأقوال المأثورة عن قبيلة الرولة أنهم «وسيعين الطعنة بعيدين الظعنه». وتأتي هذه الدراسة نتيجة معايشة المؤلف ظروف الصحراء وحياة البادية القاسية حيث أمضى عدة أشهر من سنتي ١٩٠٨ ــ ١٩٠٩م مع الرولة. يقول موزيل في مقدمة كتابه «الصحراء العربية»:

«وبما أن قبيلة الرولة هي أقوى القبائل في الصحراء الشمالية حاولت الحصول على حماية شيخها الأكبر النوري بن شعلان والتنقل معه كأحد أفراد عائلته. وبعون الله ثم بمساعدة أصدقائي الشرقيين حصلت على أمنيتي وخلال سنتي ١٩٠٨ ــ ١٩٠٩م أمضيت أشهراً عديدة في صحراء العرب المجهولة».

ويقول في مقدمة كتابه عن الروله :

«يعترف جميع جيران قبيلة الروله أنها هي القبيلة الوحيدة في شمال الجزيرة العربية التي تحتفظ بطابع البداوة الأصلية. وبما أنني تنقلت معهم في حلهم وترحالهم لعدة أشهر فلقد أتيحت لي الفرصة لدراسة حياتهم عن كثب. ولقد دونت في كتابي هذا ما تمخضت عنه دراستي لهم من نتائج. بيد أني وجدت أنه من المستحسن إضافة بعض التفاصيل التي حصلت عليها من مرافقي بليهان بن مصرب الذي هو ليس من

قبيلة الرولة بل ينحدر من قسم القمصة من قبيلة السبعة. والسبعة والرولة كلاهما من عنزة، والقمصة جيران الرولة لذا فهم يشتركون معهم في العادات والتقاليد».

يقع كتاب الرولة في ٧١٢ صفحة ويتألف من ثلاث وعشرين فصلاً يتناول كل فصل منها جانباً خاصاً من حياة الرولة. فالفصل الأول يتكلم عن النجوم والكواكب وما يتعلق بها من معتقدات شعبية وأساطير كما يتكلم عن فصول السنة والأنواء وتقلبات الجو والأمطار. ومن طريف ما يرويه المؤلف عن أطفال الرولة أنهم في السنين المجدبة يحملون ما يسمونه «أم الغيث» وهي على شكل صليب كبير يلبسونه ثوباً قديماً من ثياب النساء ويحمل أحد الأطفال هذا التمثال وتتبعه المجموعة مرددين.

يامّ الغيث غيثينا بلّي بْشيت راعينا
يام الغيث غيثينا من المطر واسقينا
يام الغيث غيثينا من مدّ الله مدّينا
يام الغيث غيثينا من الوبل واعطينا

وفي الفصل الثاني يتكلم المؤلف بالتفصيل عن حيوانات الصحراء كالضبعة والذئب والقرطة والشيب والضربول والثعلب وحيوانات الصيد كالبدن والمها والغزلان والأرانب وغير ذلك من الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات.

ويتناول الفصل الثالث البنية الإجتماعية فيتكلم عن البادية والحاضرة وتركيب القبيلة وعلاقة أبناء العم ببعضهم ومشيخة القبيلة وواجبات الشيخ والصفات التي يجب أن يتحلى بها. ويروي المؤلف أن شيخة الرولة كانت قديماً بيد القعاقعة غير أن شعلان الذي كان مجرد «فداوي» عندهم استطاع بدهائه وشجاعته وميل الناس إليه أن يستولي على الشيخة وينتزعها من القعاقعة وساعده على ذلك الفريجة والربشان. ويستطرد المؤلف إلى ذكر النزاع الذي حدث في القديم بين الرولة وشيخهم ابن شعلان وبين الكواكبة وشيخهم الشريفي.

ويقول المؤلف أنه منذ بداية القرن التاسع عشر وقيادة الرولة أو ما يسمى «شيخ الشداد» كانت بيد الدريعي بن جندل ولكنها في الأخير آلت إلى نايف بن شعلان من المرعض الذي انتزعها من ابن جندل. وبعد أن توفي نايف توفي بعده حمد بن شعلان الذي خلف سطام. وممن اشتهر من أبناء نايف فيصل الذي قتل برجس بن مشهور عام ١٨٥٩م غير أن أخا برجس نهار وابن أخيه حمدان استطاعا أن يثأرا له وقتلا فيصل في ١٤ يناير ١٨٦٤م. وبعد وفاة فيصل أصبح ابنه طلال شيخاً لقبيلة الرولة أما القيادة الحربية فقد آلت إلى حمد بن بنيّه. وممن اشتهر من فرسان الرولة في ذلك الوقت سطام بن حمد بن شعلان وهزاع بن نايف. وتزوج هزاع من ثقله بنت الشيخ فايز

بن جندل التي ولدت له النوري ومحمد، أما إبناه فهد ومشعل فهما من زوجة أخرى. وأحب سطام بن حمد تركية بنت بن مهيد شيخ الفدعان وتزوجها وأنجبت له خالداً وممدوحاً. واستولى سطام على الشيخة منذ عام ١٨٧٧م وتوفي سنة ١٩٠٤م وخلفه على الشيخة ابنه فهد ثم النوري بن شعلان.

وفي الفصل الرابع يتكلم المؤلف عن الخيمة وجميع ما تحتوي عليه من أثاث وطريقة صنع هذا الأثاث إذا كان يصنع محلياً. هذا بالإضافة إلى تفصيلات عن طريقة صنع الخيمة وطريقة نصبها ونقلها أثناء الرحيل. ثم يتطرق المؤلف إلى ذكر طريقة اختيار المنزل في الفلاة وطريقة تقسيم المنازل إلى نجع وفريق ونزل ثم يسرد بعض الأشعار التي تتعلق بذكر المنازل وتذكر أهلها.

أما الفصل الخامس فيختص بالطعام ويخصص المؤلف حيزاً كبيراً من هذا الفصل لوصف القهوة وأدواتها وطريقة إعدادها ثم يسرد بعض القصائد التي قيلت في القهوة.

وفي الفصل السادس يتحدث المؤلف عن الثياب والسلاح ومن أهم أسلحتهم المسدس والبندقية والشبرية والسيف والرمح.

ويتكلم المؤلف في الفصلين السابع والثامن عن الزواج والأطفال. غير أن الفصل الذي يتعلق بالزواج يتكون في معظمه

من هجينيات وحداوي وقصائد عن الحب والزواج. ومن ضمن هذه القصائد قصيدة غزلية للنوري بن شعلان يسندها على كاتبه جواد يقول فيها.

جواد واعنـــزي وانـــا ادور كلّـــيت
واعنـــزي اللـــي ما تبيّـــن خبرهـــا

كلّت محاريفـــي وادوّر وحلـــويت
في مقرن السيلين ما احدٍ ذكرهـــا

نطّيت أنا المرقاب طالعت واشفيت
وبيّن لي اللي صنّقٍ من شجرهـــا

طرا علـــي صويحبـــي ثم ونّـــيت
ونّة قصيم الساق ما احدٍ جبرهـــا

ان ما تهيّـــا من ثمانـــه ترويت
واعينـــي اللـــي ما يبطّـــل سهرهـــا

وجدي عليها وجد حيٍ على ميت
وقلبـــي عليهـــا بيـــن الأضلاع يرهـــا

وموضوع الفصل التاسع وهو الغرباء في منازل القبيلة مثل العبيد والصنّاع وتجار الإبل ويسمون عقيل أو عقيلات والباعة المتجولين ويسمون قبيسات. ويتناول هذا الفصل أيضاً موضوع الجار والجيرة حيث يوجد في كل منزل من منازل

الرولة أفراد غرباء من قبائل أخرى أتوا يطلبون الجوار أو الحماية من قبيلة الرولة. والجار والقصير عند الرولة يعتبر شخص عزيز وتطبق عليه قوانين القبيلة أي أن له واجبات وليس عليه حقوق حيث ان المجير يلتزم بأداء جميع حقوق جاره. فمثلاً لو أن شخصاً من القبيلة اعتدى على بيت الجار فإن المجير يحق له قتل المعتدي دون أن يطالب بثأر أو دية بل إن المعتدي نفسه وأهله مطالبون بدفع الدية إلى الجار مقابل انتهاكه لحرمة بيته. أما إذا حصل من الجار اعتداء على أحد أفراد القبيلة وأراق دمه فإن مجيره يتكفل بحمايته ومساعدته على الهرب حتى يتمكن من اللجوء إلى شخص آخر أو إلى قبيلة أخرى.

والفصل العاشر من كتاب الرولة عن الشعر وفيه يحشد الكاتب عدداً كبيراً من القصائد في مواضيع مختلفة والتي يتداولها أبناء قبيلة الرولة إلا أن الشعراء ليسوا كلهم من الرولة. ويتحدث المؤلف في الفصلين الحادي عشر والثاني عشر عن الإبل والخيل ويتحدث في الفصل الثالث عشر عن معتقدات التفاؤل والتشاؤم لدى الرولة كما يتحدث في الفصلين الرابع عشر والخامس عشر عن بعض الممارسات والمعتقدات الشعبية الشائعة لدى قبيلة الرولة.

والفصل السادس عشر يتناول مسائل القضاء والعرف عند الرولة. والقاضي عند البادية يسمى عارفة وحكمه في المسائل

القضائية يمكن نقضه حتى من قبل شيخ القبيلة. ومن العوارف المشهورين ابن جندل عارفة الجلاس والطيار عارفة بني وهب. وقضايا القتل والثأر يتولاها عوارف الدم ومنهم آل كويكب عند الجلاس وابن سمير (المعروف بابن بطاح) عند بني وهب. ومن عوارف الجلاس أيضاً ابن دغمي والقعاقعة.

ونأتي إلى الفصل السابع عشر وعنوانه «حماية الضعيف» ويستهل المؤلف هذا الفصل بحديث مفصل عن «الوجه» فحينما يريد شخص غريب أن يسافر في ديرة الرولة مثلاً فإنه لا بد له من الحصول على «وجه» شخص مهم من القبيلة مثل ابن شعلان. وإذا لم يتمكن هذا الشخص من مقابلة ابن شعلان شخصياً فإنه يكفي أن يصرح بحضور شهود معروفين أنه يضع نفسه في وجه ابن شعلان وتحت حمايته. ومن أكبر العيوب عند الرولة أن يرفض الشخص منح وجهه وحمايته لمن يستغيث به أو أن يطلب أجراً مقابل ذلك. وقد يطلب الشخص الغريب من أحد أفراد قبيلة الرولة أن يكون «خوي» أو «رفق» له يحميه خلال تجواله في ديارهم.

وكما تجب حماية الخوي كذلك تجب حماية الدخيل. ومن يرفض حماية الدخيل يعتبر شخصاً ضعيفاً لا قيمة له ولا شرف ويعرف الناس عنه أنه شخص جبان أسود الوجه. والدخلة تختلف عن الجيرة والخوة والوجه في أن حاجتها تأتي في

أحرج الأوقات وأضيقها كأن يقتل الإنسان شخصاً آخر في قضية ثأر أو شرف لذا فإنه لا يلزم الدخيل أن يطلب الإذن أو الموافقة من المدخول عليه بل كل ما هنالك أن يدخل بيته أو أن يلجأ إلى حرم البيت الذي يمتد مسافة رمح من أبعد وتدمن أوتاد أطناب البيت أو مقدار ما يسمع من داخل البيت صوت المستجير خارج البيت، وهذا ما يسمى «حق الصوت». وإذا دخل الدخيل البيت قام أهل البيت ومنعوا غرماؤه من الوصول إليه قائلين «دخل الدخيل وسلم» ويقال للدخيل «سلمت وخاب طالبك».

الإعتداء على «الخوي» يسمى «قطع الوجه» وهو أشد خطراً من القتل ففي حالة القتل تكون الدية معروفة أما في حالة قطع الوجه فإن صاحب الحق المعتدى عليه هو الذي يقرر قدر الجزاء. وأشد خطراً من الإعتداء على «الخوي» الإعتداء على «الدخيل» وهذا يسمى «بوقة البيت» فإنه في هذه الحالة تقاس مقدار الخطوات بين بيت المجير وبيت المعتدي ويغرم المعتدي عدد هذه الخطوات من الإبل.

ويتناول الفصل الثامن عشر موضوع الضيافة وحق الضيف. وحق الضيف لا يقتصر فقط على إطعامه بل يشتمل أيضاً على إيوائه وحمايته والاعتناء به طوال مدة إقامته مع صاحب البيت. وحينما يرى أهل القطين ضيفاً مقبلاً يتسابقون إليه كل منهم

يترجاه أن يحل ضيفاً عليه. ومن عاداتهم إذا ما ذبحوا لضيوفهم أن يحنوا رقاب ركائبهم بالدم. ويعتبر الضيف في حماية مضيفه خلال إقامته معه ولمدة ثلاث أيام من مغادرته.

وفي الفصل التاسع عشر يتحدث المؤلف عن سمات الرجولة التي يتميز بها صاحب المرجلة ولاسيما شيخ القبيلة ومنها أن يكون «قلبه قوي» و «شوفته بعيده» و«راعي فتل» أي داهية «راعي مروه» و«راعي شيمه» وكريم وسخي وحبيب الله أي صادق.

وموضوع الفصل العشرين هو الثأر ويليه الفصل الحادي والعشرون وموضوعه السلم والحرب. وهذا الفصل من أطول فصول الكتاب وأكثرها متعة وفائدة إذ يتحدث فيه المؤلف عن قوانين الحرب وعاداتها في البادية وعن أهم المعارك التي جرت بين الرولة وجيرانهم من القبائل الأخرى. يقول الكاتب في مقدمة هذا الفصل.

«يعيش الرولة في حرب مستمرة مع القبائل المجاورة لهم. ولا يمكن للرويلي أن يعيش بدون حرب حيث أن الحرب تمنحه الفرصة ليظهر شجاعته ودهائه وصبره. وليس ذلك رغبة منه في سفك الدماء ولا الطمع ولكنه يحب الخطر ويعشق المغامرة. أما ما يكسبه من غنيمة فإنه وبدون تردد قد يهبه إلى زوجة الرجل الذي نهب منه» (ص ٥٠٥).

ولا يمكن للرولة أن يشنوا حرباً على قبيلة أخرى قبل أن يبلغوا تلك القبيلة بذلك وهذا ما يسمى «رد النقا» وشن الحرب بدون سابق إعلان، أي بدون «رد النقا» يعتبر خيانة و«بوق». كما أن الرولة يتجنبون الإغارة على أعدائهم ليلاً ويسمون ذلك «بيات» وهو عندهم عار. وأفضل الأوقات لشن الغارة هو الصباح أو الضحى حينما تكون الإبل في طريقها إلى المرعى أو بعد العصر حينما تعود الإبل من المرعى وهذا ما يسمى «على وضح النقا» ومن أقوالهم «أحل من غارة الضحى».

ويتكلم المؤلف بالتفصيل عن طريقة الإعداد للغزو ودور العقيد في ذلك وكيفية شن الغارة والمبارزة والفزعة والرقيب والعيون والصابور والكمين وغير ذلك من وسائل الحرب ودور النساء في تشجيع المحاربين وإغاثة المصابين. ومن أكبر الدلائل على انهم لايحبون سفك الدماء أن الفارس منهم يعطي «المنع» لمن يطلبه، أي أن الإنسان إذا وجد نفسه في موقف خطر فكل ما عليه عمله لكي ينقذ نفسه أن يطلب من الفارس الذي يريد قتله أن يمنحه المنع ويقول «امنع امنع يا خيال، أنا بوجهك». أما الإنسان المصاب «الصويب، الطريح» فيحرم قتله بل يجب إغاثته ومساعدته ويعالج حتى يبرأ من إصابته فيرد إلى أهله. أما النساء والأطفال والشيوخ والمريض والعاجز فإنهم لا يصابون بأذى أثناء الغارة. والرولة ليس لديهم راية حرب ولكن

لديهم مركب (عطفه) يسمونه «أبا الظهور». وأثناء الغارة تركب في هذا المركب بنت من بنات الشعلان لتشجيع قومها على القتال ويتفانى أبناء القبيلة في الدفاع عن المركب وحمايته من الأعداء. وهم لا يتسخدمون المركب في الغارات ولكن فقط حينما تدور حرب كبيرة أو ما يسمى «مناخ» بين الرولة وغيرهم من القبائل.

وبعد ذلك ينتقل المؤلف إلى سرد القصص والقصائد التي تتعلق بحرب الرولة مع غيرهم من القبائل مثل شمر والظفير وبني وهب وبني صخر والفدعان والمنتفق وغيرهم. ومن القصائد هذه القصيدة التي قالها الشاعر مزعل أخوزعيلا في مدح النوري بن شعلان وابنه نواف في حربهم مع المنتفق بقيادة سعدون الملقب بالأشقر.

جتنا جموع المنتفق حين الاذان
ببيارقٍ من كل بدٍّ تلاها

جونا صباح وركبوا اولاد شعلان
حمّاية المركب عن اللي بغاها

الصبح حس الماطلي كالرعد بان
ورصاصها يشدى البرد من سماها

كونٍ جرى ما اظن يجري بلاكوان
والشيخ ناف اللي حضر ملتقاها

يقصر جواده للتفافيق نيشان
بيومٍ به الشردان خلّت نساها

ادعن بعمر الشيخ قواد الاظعان
ياستر بيضٍ ما يكشّف خباها

حل ابهم النوري كما الليث ضرمان
والا الغنم ذيب الضواري غشاها

كم سابقٍ راحت هفت ماله اثمان
وكم من صبيٍّ راح في ملتقاها

ذيب الخشيبي جَضّ مع ذيب فيحان
والضبعة العرجا تسقّم ضناها

ياشيخ يامكدي عدوّه بلاكوان
افطر بكونين وبلاشقر ثناها

ونوّاف للربع المتلّين مزبان
زبن الهليب اللي تجذّت خطاها

يكسب ويحذي شوق ميّاح الازدان
شوق الهنوف اللي يدفّي حشاها

ماكـــر حرارٍ باللقـــا شانهـــــم شان
وصحونهـــم بالـــعسر ينـــدى نداهـــــا

شيـخٍ ولـد شيـــخٍ ومدبـــاس فرسان
كم عزبـــةٍ حالت جموعـــه وراهـــــا

جعـل السعـد بوجيهكـــم كل ميحـــان
بجـاه الكريـم وجـــاه بانـــي سماهـــــا

ياشيـخ يتـلاك السلـف هو والاظعـــان
وصبيـان يسقـــون العـــدو من طناهـــا

ياشيـــــخ يامعطـــي طويـــــلات الارسان
وتعطي القحـوم اللـــي طوالٍ خطاهـــا

صيّـور ما تعـرض علـى كل ديـــوان
وصيّـور ما نِنْشَد عنـــه وش جزاهـــا

واقـول جتنـي من يميـن ابـن شعـلان
حمـــرا من العيـــرات نابـــي قراهـــــا

منـوة غريب الـدار يا صار شفقـــان
تفزيـــز ربـــدا طالـــعت من رماهـــــا

لو نمت نوم العيـن ياشيـخ ما زان
ياشيـــخ تبكـــي كل عيـــنٍ شقاهـــــا

ويختتم المؤلف كتابه في الفصلين الثاني والعشرين والثالث والعشرين بذكر قوانين الإرث في البادية وذكر الموت ومراسيم الدفن وفي الفصل الرابع والعشرين وهو الفصل الأخير يورد قائمة ببعض المصطلحات الجغرافية والطبوغرافية المعروفة لدى أبناء البادية مع شرح واف لهذه المصطلحات.

وبعد فالكتاب مصدر هام من مصادر دراسات الجزيرة العربية ونحن بانتظار الترجمة العربية لهذا الكتاب التي بدأها **الدكتور عبدالله الزيدان** من قسم التاريخ **والدكتور محمد السديس** من قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الملك سعود. هذا وقد ظهرت بعض نماذج من هذه الترجمة في أعداد مختلفة من مجلة **الدارة** باسم **الدكتور محمد السديس**.

ويتضمن كتاب موزيل عن الرولة نماذج من حداء الخيل متناثرة في فصوله المختلفة ويرد أكثرها في الفصل الذي يتحدث فيه المؤلف عن الحرب. وحينما كنت محرراً لصفحة «مأثورات شعبية» في **ملحق الرياض الأسبوعي** رأيت أن أنقل هذه الحداوي مع تعليقات المؤلف عليها إلى قراء العربية وقد نشرتها في ثلاث حلقات متفرقة خلال الفترة ٢٨ ربيع الثاني — ١١ جمادى الثاني ١٤٠٣هـ وها أنا الآن أضم هذه الحلقات التي سبق نشرها وأضعها مجموعة بين يدي القاريء في هذا الكتيب. ولم أحاول إضافة أي تعديل أو تصحيح على

ما ذكره المؤلف إلا في حالات الضرورة القصوى وقمت بوضع هذه الإضافات الضرورية بين قوسين.

ولقد دفعني إلى هذا العمل غزارة المادة التي أوردها موزيل في كتابه وقلة ما كتب عن الحداء باللغة العربية. فالأستاذ **عبدالله بن خميس** في كتابه **الأدب الشعبي في جزيرة العرب** يمر على الموضوع مروراً سريعاً ولا يورد إلا نموذجين من الحداء. أما **شفيق الكمالي** في كتابه **الشعر عند البدو** فيتناول الموضوع في حوالي خمس صفحات ويورد منه ثلاث نماذج فقط. وقد نمى إلى سمعي أن هناك مخطوطاً يحتوي على الكثير من حداء الخيل من عمل المرحوم **محمد الأحمد السديري** ومع الأسف أن هذا المخطوط لم ير النور حتى الآن.

والحداوي هي الأراجيز التي يهزج بها الفرسان على صهوات جيادهم وهم في طريقهم إلى الغزو أو بعد عودتهم منتصرين. ويقصد بها إدخال الرعب إلى قلوب الأعداء أو بث الحماس في نفوس المحاربين وتحريضهم على الإقدام والاستبسلال، ويتضمن في الغالب تخليداً للمآثر البطولية التي يحققها فرسان القبيلة في ميدان الوغى، كما أنها قلما تخلو من الوعيد والتهديد. إلا أن هنالك بعض المقطعات التي تخلو من مضامين الفروسية وتقتصر على موضوع الغزل ويطلق عليها مع ذلك تسمية حداوي لاشتراكها معها في الوزن

والإيقاع. ولكن ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا تلك العلاقة الوثيقة التي تربط مضامين الفروسية بالغزل، فالفارس في أحديته غالباً ما يؤكد على استعداده للتضحية دفاعاً عن شرف فتاته الجميلة.

ولأن الحداوي في مجملها تصدر عن فرسان لايحترفون الشعر ولأنه يغلب عليها طابع الارتجال فإنها تأتي على شكل مقطوعات قصيرة لا تتعدى الواحدة منها البيتين أو الثلاثة ونادراً ما تصل إلى أربعة أبيات. كما أنها لا تخلو من الاضطراب في الوزن أحياناً. وبحر الرجز، وهو البحر المستخدم في حداء الخيل، سمي بهذا الاسم لاضطرابه وكثرة دخول التغيير على أجزائه ولأنه يأتي مجزوءاً ومشطوراً ومنهوكاً. وأكثر ما يستخدم في الحداء مجزوء الرجز.

وكان الرجز يستخدم في الحداء منذ الجاهلية وبنفس الطريقة التي كانت سائدة في بادية الجزيرة حتى وقت قريب. ينقل صاحب كتاب **الأغاني** عن ابن حبيب قوله «كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى». ويذكر الألوسي في كتابه **بلوغ الأرب** نقلاً عن أبي عبيدة أن الشاعر كان يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك إذا فاخر أو حارب أو شاتم.

وإكمالاً للفائدة فقد رأيت أن أضم إلى مجموعة الحداوي التي استخلصتها من كتاب موزيل عن الرولة بعض الحداوي التي جمعتها شخصياً من أفواه الرواة.